المركز الجامعي ميلة

مادة لسانيات النص ونظرية النظم السنة الدراسية: 2023/2022

السنة الثنية ماستر/ ل ع أ. يوسف يحياوي

المحاضرة الأولى: لسانيات النص وعلاقتها بعلوم البلاغة.

إنّه من الطبيعيّ أن نجد الطالب وهو يبحث في لسانيات النص كفرع من فروع اللسانيات، يقف على لسانيات الجملة أوّلا باعتبارها تأليفاً للكلام الّتي اختُلِفَ في تعاريفها اللغويون؛ ورُغم تعدّد اتّجاهاتها وتأويلاتها فهي تتقاطع في كون الجملة وحدة مصغرة في النص. وإليك عزيزي الطالب جملة من تعاريف لسانيات الجملة.

1/- مفهوم لسانيات الجملة: لسانيات الجملة تدرس الجملة بمختلف مكوناتها الصغرى من: الفونيم والمورفيم والمقطع والمونيم. هذا، وقد تعبّر الجملة على ما هو مركّب وما هو كَلِم يحوي فائدة تامّة يحسُن السكوت عليها، وكما تكون الجملة عبارة عن تلفّظ مزدوج أي من المونيم والفونيم. وهذا الأخير شكّل عدة تعاريف للجملة من حيث هي كلام أو إسناد، أو تركيب؛ وعليه فـ"إنّ الجملة إسناد وعمدة، وقد تتجاوز ذلك إلى مكمِّلات موسّعة أو فضلة توسيعية[1]، وبعبارة أدقّ، فإنّ الجملة عبارة لغوية تتركّب من حمْل موسَّع أو مكونات خارجية. والجملة إمّا أن تكون بسيطة ذات محمول واحد، أو مركبة ذات محمولين فأكثر؛ " والجملة نسق ثلاثي التركيب يتمثل في: المسند، والمسند إليه والتكملة ونسق نحوي يعتمد على تمام التكوين، وصحة التأليف. وهي أيضا ذات نسق متصرف، إذ تقبل التحليل والتحويل والإعراب[2]. والجدير بالإشارة في هذا الصدد هو أنّ النحاة العرب لم يولوا الجملة اهتماما كبيرا في دراساتهم النحوية، بمسألة دراسة الجمل العربية، من حيث

---

1 – الفضلة هي التي تلحق بالجملة النووية. وهي سبعة عناصر: المستفيد، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله والمفعول معه، والحال، والمستثنى، والإضافة.

2 – عبد السلام سليمي، دراسة في التركيب. الطبعة الأولى. سلا: 2010، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، ص: 19-21.

تأليفها وتركيبها والعلاقات داخلها وفيما بينها، غير ما نجده عند ابن هشام المصري وبعض النحاة المغاربة كالمرادي (748هـ) في رسالته (في جمل الإعراب. فأما ابن هشام (761) فقد خصّص فصلا أو بابا للجملة كبحْثٍ مستقلٍ في كتابه (مغني اللبيب).

كما نجد في القرن الثامن الهجري رسالة نحوية صغيرة كتبها (شهاب الدين الأصبحي العنابي (ت776هـ) عنوانها: (الحلل في الكلام على الجمل).

أمّا "حديثا فالاهتمام بالجملة وجوانبها أصبح كبيرا حظيت بعناية المشارقة والمغاربة من الدارسين المحدثين"[1]؛ وأمثال هؤلاء المعاصرين (حسني عبد الجليل يوسف) في كتابه الّذي أسماه: (إعراب النص– دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب)"[2] أضف لذلك اجتهادات (فخر الدين قباوة) في كتابه: إعراب الجمل وأشباه الجمل"[3] ولعلّ كتاب (صالح فاضل السامرائي: (الجملة العربية، تأليفها وأقسامها) من الكتب القيّمة التي تناولت لسانيات الجملة من حيث تركيب الجملة وتأليفها حديثا"[4]. وقائمة الباحثين ومؤلفاتهم طويلة لا يمكن إحصاؤها، حيث أثرت المكتبة العربية بالدراسات النظرية حول الجملة من خلال العلامة الإعرابية في الجملة، دلالتها في النص القرآني، أو في بنائها ومفهومها.

ومن الجوانب التي لقيت اهتمام معاصرينا في لسانيات الجملة أنْ تناولوا بالدراسة أنواعا أخرى من الجمل؛ كـ(الجملة الأصلية) التي يُقصد بها تلك الجملة التي تتكون من العلاقة الإسنادية التي تجمع بين الفعل والفاعل أو بين المبتدأ والخبر؛

و(الجملة الصغرى) المبنية على المبتدإ؛

---

[1] – حسين منصور الشيخ، الجملة العربية. الطبعة الأولى. بيروت: 2009، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص:13–14.

2 – يُنظَر: حسني عبد الجليل يوسف، إعراب النص –دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب. الطبعة الأولى. القاهرة: 1997، دار الآفاق العربية.

3 –يُنظر: فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل. الطبعة الثالثة، بيروت: 1981، دار الآفاق الجديدة.

4 – يُنظر: صالح فاضل السامرائي، الجملة العربية، تأليفها وأقسامها. الطبعة الأولى، عمان: 2002. دار الفكر.

و(الجملة الكبرى) التي يكون فيها الخبر جملة اسمية أو فعلية.

ومن تقسيمات الجملة نذكر:

- الجملة الإسنادية: حيث المسند والمسند إليه.
- الجملة الشرطية: وما خصّه أسلوب الشرط من حروف وجملة الشرط أو فعله، وجوابه.
- الجملة الظرفية: الّتي تعتبر هي الأخرى نوعا يختلف عن غيره من حيث دلالة الظرف الزماني والمكاني فيها.

أمّا عن الجملة البسيطة فقسمها "[1](تمام حسان) اسمية وفعلية ووصفية".

وخلاصة القول –مما سبق– هو أنّ تصنيف الجملة كبرى وصغرى أو إنشائية وشرطية وجملة فعلية أو جملة اسمية، أو جملة رابطية أو كونية، أو جملة بسيطة ذات محمول واحد، أو جملة مركّبة ذات محمولين فأكثر، أو جملة ظرفية"[2]، وغيرها من التقسيمات والتصنيفات عند القدامى والمحدِثين من الناحية اللسانية؛ كالنظر للجملة الاستلزامية أو(ضمنية)، أو للجملة الاقتضائية أي (جملة الإحالة)، أو للجملة الذيلية.

والجملة من حيث هي تمفصل مزدوج والتي ناد بها زعيم المدرسة الوظيفية (أندري مارتيني(André Martinet) تتحدّد من خلال الفونيمات والمونيمات ومورفيمات؛ حيث إنّ وظيفتها أساسا يكمن في التواصل، إذ "تنقسم الجملة إلى جملة إسنادية حملية، وجملة فضلة أو موّسعة تكميلية[3].

وفي النحو الوظيفي نذكر اجتهادات (أحمد المتوكّل) وهو يقسّم "الجملة خمسةَ أنواع"[4]؛ مبتدئية وندائية وذيلية، بسيطة ومركّبة. في حين تنقسم "الجملة نوعين إطار النحو التوليدي التحويلي"[1]، وهما:

---

[1] – يُنظر تمام حسان، الخلاصة النحوية. الطبعة الأولى، القاهرة: 2000، عالم الكتب.

2 – جملة بها ظرف أو مفعول فيه.

[3]– André martinet : Eléments de linguistique générale ،Armand Collin, Paris, France, 1960.

4 – يُنظَرُ: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية. الطبعة الأولى. الرباط: 1988، منشورات عكا.

– الجملة العميقة: وهي الأساس والنواة.

– الجملة السطحية: ويسمّيها الجملة المحَوَّلة Phrase transformée، حيث يطرأ عليها تغيرات إما بـ: الاستبدال، والزيادة، والنقصان، والحذف، و...

2/– لسانيات النص أو اللسانيات النصيّة:

Linguistics of the text ; Text linguistics

لا يخفى عل أحد أنّ اللسانيات النصيّة جاءت لتتجاوز الدراسة اللسانية الجزئية التي كانت تقوم على أساس (مستوى) لساني محدود. ومن المعلوم أنّ الدراسات اللسانيّة المعاصرة جلّ اهتمامها منصبٌّ على الخطاب، من خلال ما تحققه القواعد من إنتاج النصوص وفهمها وتأويلها بفعل الترابط بين الأبنية النسقية (النصيّة) من جهة، ومن الناحية الدلاليّة من جهة أخرى؛ فاتّخذت النظرة الجديدة تدحض جهود تيار لسانيات الجملة ليصبح النصّ المادة الأساس للتحليل وفق بنية شمولية، وليس تتابع الجمل منفصلة.

ويقوم هذا العلم في تحليله على قواعد تركيبية ودلالية.

هذا، وتعتبر (اللسانيات النصيّة) أهم المناهج اللسانيّة الحديثة التي تهتمّ بدراسة نسيج النصّ من حيث الانتظامُ والاتّساق والانسجامُ، فهي تبحث في الآليات الشكليّة والدلالية التي تسهم في بناء النص. واعتبارا لتحليل الجملة فإنّه لم تتمكن من تغطية النص.

جاء هذا العلم الّذي هو فرع من علم اللغة بديلا لمناهج التحليل الّذي سبقته، مُقِيماً الدراسات اللسانية على لسانيات النصّ، وتغيير مجراها من لسانيات الجملة الّتي كانت ترتكز على الجملة بمختلف مكوناتها الصغرى (فونيم، مورفيم، مقطع).

---

1 –N.Chomsky :Santactic Structures ،The Hague ،Mouton ،Tra.Fr.Ed. Seuil. Paris, 1967 .

2 – Benveniste ،E : Problèmes de linguistique générale .Paris: Gallimard.1976.

يقصد بلسانيات النص ذلك الاتّجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما، ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه. بمعنى أن لسانيات النص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في انبناء النص وتأويله. أضف إلى ذلك أن هذه اللسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النص والخطاب، بمعرفة البنى التي تساعد على انتقال الملفوظ من الجملة إلى النص أو الخطاب، والانتقال من الشفوي إلى المكتوب النصي. ويعني هذا أنّ لسانيات النص هي التي تدرس النص وتحلّل الخطاب، ولا تهتم بالجملة المنعزلة، بل تهتم بالنصّ باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا، فقد انطلقت من لسانيات الملفوظ مع بنفنست (E. Benveniste)"[2].

فلسانيات النص (Text linguistics) هو فرع من فروع علم اللسانيات (Linguistique/Linguistics)، ويتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل والإبلاغ السياقي. وفي هذا، يقول فان دايك(Van Dijk)" إنّ كلَّ خطاب مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصلي، وبعبارة أخرى: فإنّ المركّب التداولي ينبغي ألا يخصّص الشروط المناسبة للجمل ومقتضى الحال فيها، بل يخصّص هذا المركّب ضروب الخطاب أيضا. إذا، فإنّ أحد الأغراض السامية لهذا الكتاب هو الإعراب والإفصاح عن العلاقات المتسقة الاطراد بين النص والسياق التداولي"[1]. ومن ثم تهدف هذه اللسانيات إلى وصف النصوص والخطابات نحويا ولسانيا في ضوء مستوياتها الصوتية، والصرفية، والتركيبية والدلالية، والتداولية، والبلاغية، كما توصف الجمل حسب المدارس اللسانية؛ لأنّ النص جملة كبرى. وما ينطبق على الجملة الصغرى ينطبق أيضا على الجملة الكبرى.

لسانيات النص تدرس النص على أساس أنه مجموعة أو فضاء ممتدّ وواسع من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة، ضمن سياق تداولي

---

[1] – يُنظرُ: فان دايك، النص والسياق، ص: 20.

وتواصلي معيّن، ومن ثم يحمل مقصديات مباشرة وغير مباشرة، ويهدف إلى الإبلاغ أو الإمتاع أو الإفادة أو التأثير أو الإقناع أو الحجاج.

وتدرس لسانيات النص ما يجعل النص متّسقا ومنسجما ومترابطا، بالتركيز على الروابط التركيبية، والدلالية، والسياقية، سواء أكانت صريحة أم ضمنية. ولا تكتفي لسانيات النص بما هو مكتوب فقط، بل تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية أي: تبحث عن آليات بناء النص ومختلف الوظائف التي يؤديها ضمن سياق تداولي معين.

ومما لا شك فيه أن النص le texte مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل في البداية ما يسميه (أندريه مارتينيه):(A.Martinet) بالتمفصل أو التلفظ المزدوج (Articulation Double) – كما سلف ذكره – ومن ثم يتكوّن النص عبر التحام الجمل واتساقها نسيجا وانتظاما، وترابطها عضويا وموضوعيا. ومن ثَمَّ يُلاحظ أنّه عبر امتداد مساحة النص يتشكّل ما يسمّى بالفقرات (paragraphes)، والمقاطع(strophes) والمتواليات (séquences) التي تؤلِّف بدورها في الأخير ما يسمى بالنص، ووظيفتها الأساسية والبارزة تكمن في التواصل والإبلاغ والتداول.

هذا، ويتميز النصّ عن اللانصّ–حسب عبد الفتاح كليطو–بمجموعة من الضوابط التي تتمثل في كون "النص يحمِل ثقافةً، ويعتمد على النظام، وهو قابل للتدوين والتعليم وينسب إلى كاتب حجة، ويحتاج إلى تفسير وتأويل"[1].

وحري منا أن نشير أيضا في ثنائية الجملة والنص كمجال اهتمامِ لسانياتِ النص من خلال اللسانيات البنيوية التوزيعية والتوليدية التحويلية التي اهتمت بها؛ إذْ يرى بلومفليد (Bloomfield) أنّ الوحدة اللسانية الكبرى هي الجملة، وأنّ اللسانيات مقتصرة على دراسة الجمل وتوزيعها إلى مكوناتها الاسمية والفعلية والحرفية أو إلى مكملاتها. بيد أنّ لسانيات النص عقدت العزم على تجاوز الجملة لدراسة ترابط الجمل واتّساقها وانسجامها وتحديد العلاقات الموجودة بين الوحدات الجملية داخل النص، وكذلك الاهتمام بتعريف

1 –عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابة. الطبعة: 1، بيروت: 1982، دار الطليعة، ص:13–30.

النص، واستخلاص مكوناته ومرتكزاته التركيبية والدلالية والتداولية. هذا النمط من الدراسة كانت تعدّه اللسانيات الكلاسيكية اهتماما بالقضايا الهامشية.

ومن التعاريف التي تدعو لتجاوز لسانيات الجملة وحدودها، تعريف اللسانيّ (كوليش رايبال) (Gulish Raible)؛ إذ " نقصد بنحو النص مجموعة الأعمال اللسانية التي تملك كقاسم مشترك خاصيةً تجعلها تجسد موضوع دراستها في المتواليات الخطابية ذاتِ الأبعاد التي تتجاوز حدود الجملة..."[1]، فلسانيات النص هي التي تدرس المتواليات النصية وتجعل وحدتها الكبرى في النص لا في الجملة كما كان يفعل البنيويون اللسانيون، وكذا التوليديون التحويليون.

ومن القضايا التي لقيت عناية اللسانيات النصية تطبيقيّاً تناولُ: الضمائر العائدة (Les anaphores) والتماسك النصي(La textuelle coherence)، والاتساق(Cohesion والانسجام (Coherence)، والتي يأتي التفصيل فيها لاحقا.

3/- لسانيات النص وعلاقتها بعلوم البلاغة:

من المعلوم أنّ للبلاغة صلةً وثيقة بعلم النصّ أو لسانيات النصّ؛ فإذا ما تأمّلنا جيّدا علوم البلاغة ولا سيما علم المعاني لوجدناها في مواضيعها تتقاطع مع آليات التحليل اللساني ووسائله (سيأتي الحديث عنه لاحقا)، وكأنّ لسانيات النصّ نشأت على أنقاض البلاغة في تحليلها للنصّ الأدبي؛ "ولا يخفى أنّه لمناقشتنا حدود البلاغة، يتراءى لنا علاقتها بعلم لغة النصّ، وتلك دلالة واضحة على الصلة بينهما إلى حدّ الّذي جعل بعض الباحثين يعدّها السابقة التاريخيّة لعلم النصّ"[2]، إنّ ما يتبيّنُه القارئ من خلال هذا القول هو جعل البلاغة العربية السبّاقَةَ إلى النص الأدبيّ وتحليله[3]، ولا غرْو في ذلك إذا علمنا بأنّ منطلق لسانيات النص هو الأخذ بعين الاعتبار توجُّه البلاغة العام.

---

1 – يُنظر: عبد الجليل غزالة، (النص بين النظرية والتطبيق). المغرب، العدد 1896/36، أنوال الثقافي، ص: 11.

2 – سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ –المفاهيم والاتّجاهات، ص: 20.

3 – ها هنا، نميّ بين شيئين من علوم البلاغة؛ أولا: أن يكون تحليل النصوص الأدبيّة مبنيّة على أدوات البلاغة. ثانيا: ألاَّ يُتَناقَضَ في التعامل مع النص بما هو تحليل أو أجراء.

و"البلاغة هي السّابقة التاريخيّة لعلم النصّ، إذاً نحن أخذنا في الاعتبار توجّهها العام المتمثِّل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعدّدة"[1]. إنّ الهدف الأساس لعلوم البلاغة هو التأثير في القارئ بأسلوب يراعي طبيعة النصّ والمستمع، وكذلك تبنَّتْ هذه الفكرةَ الدراسات اللغويّة للنص الأدبي؛ حيث " تتوجَّهُ البلاغة إلى المستمع أو القارئ لتؤثّر فيه، وتلك العلاقة ذات خصوصية في البحث اللغويّ النصيّ"[2].

وما يروق للقارئ وهو يتأمّل في الدراسات اللسانيّة الحديثة أنْ يعتبِرَ "علوم البلاغة"[3] كفايةً لدراسة النصّ الأدبي من حيث مكوناتُهُ، لذلك أصبحت منهلا للغويين المحدثين في مجال الدراسات اللسانية بعدما كانت البلاغة مقصورة الدراسة؛ أ لاَ ترى أنّ مجال التحليل اللسانيّ للنص منحصرا في المستويات الأسلوبية والشكلية التي يستحيل لها أن تُحيطَ بالنصّ الأدبيّ وما يتركّب منه، "ولكن تُنجِز الشعرية هذا المشروع عليها أن تطرح إشكالاتها الخاصّة المتمثّلة عن إشكالات البلاغة الإقناعيّة"[4]، وإنْ كانت البلاغة الغربية هو جعل هدفها في الإقناع كهدف ساميّ، فإنّ الفضل في ذلك يعود للبلاغة العربيّة فيما زوّدت الدرس اللسانيّ الحديث من قوانين ومعارف؛ فـ"البلاغة القديمة قد قدّمت نموذجا معيّنا كان معيّناً للآراء والاقتراحات الّتي طُرِحَتْ فيما بعدُ، وبخاصّة من خلال النظريات الحديثة"[5]؛ تأمّل الشكل:

1 – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات، ص: 20.

2 – نفس المرجع، ص: 21.

3 – يُقصد بعلوم البلاغة الأقسام الثلاثة للبلاغة وهي: البيان والبديع وعلم المعانيّ.

4 – محمد الولي، من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات. مجلة فكر ونقد، ص: 138.

5 – يُنظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص: 155.

(شكل توضيحي لعلاقة لسانيات النصّ بعلوم البلاغة)